



في رحاب التوراة

دراسات وجواريات روحانية مُعمّقة في النصوص التوراتية الأسبوعية مع
الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University



The Original text in English and translations to other languages can be found here:

<https://www.rabbi-sacks.org/covenant-conversation/vayetse/how-the-light-gets-in/>

"فايتسيه" هو النصّ الأسبوعي السابع من كتاب "بريشيت" (سفر التكوين) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعيّ بالآية العاشرة من المقطع الثامن والعشرين وينتهي بالآية الثالثة من المقطع الثاني والثلاثين.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

كيف يدخل النور إلى قلوبنا

لماذا اختار الله يعقوف / يعقوب على وجه التحديد؟ هذا هو السؤال الذي يظلّ يُراودنا باستمرار أثناء قراءتنا القصص والروايات الموجودة في سفر التكوين. في الحقيقة لم يكن يعقوف مثل نوح على سبيل المثال، والذي وُصِفَ بأنه الرجل المثاليّ الصالح بين أبناء جيله والذي سار مع الله عزّ وجل. كما أنّه لم يكن مثل أفرهام/إبراهيم، هذا الرجل الذي ترك أرضه ومسقط رأسه وبيت أبيه تلبيةً للنداء الإلهي. وهو ليس كأبيه يتسحق/إسحق الذي قدّم نفسه قرباناً لله عزّ وجلّ. ولم يكن كنبّي الله ورسوله موسى/موشيه/موسى الذي امتلأ من النخوة والمروءة منذ نعومة أظفاره ما جعله يُدافع بكل ما أوتي من قوّة دافعاً عن العدالة ضدّ الظلم. ورغم ذلك، فنحن نُعرّف أنفسنا كيهودٍ على أننا بنو إسرائيل، بنو يعقوف، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا يعقوف على وجه التحديد؟

من وجهة نظري فإن الإجابة على هذا السؤال تبدو واضحة في الآيات الأولى من هذا النصّ الأسبوعيّ: لقد كان يعقوف يخوض غمار رحلة محفوفة بالكثير من المخاطر، كما ترك يعقوف بيته بعد أن أقسم أخوه عيسف/عيسو بأنه سيقتله بعد وفاة أبيهما يتسحق، في الوقت نفسه كان على وشك الدخول لبيت خاله لئان/لبنان، وهذا كفيل بأن يجلب له المزيد من المخاطر. لقد كان يعقوف وحيداً بعيداً عن بيته وأهله، وخلال تلك المرحلة من حياته كان في قمة الضعف والوهن. وخلال لحظة معيّنة، تغربّ الشمس ويحلّ الليل بينما هو مُستلق على الأرض لكي ينام، وفي تلك اللحظة يرى يعقوف في منامه تلك الرؤية العظيمة بحسب ما تذكر الآيات 12-17 من المقطع الثامن والعشرون من سفر التكوين:

"فَرَأَى حُلْمًا، كَانَ سُلْمًا مَنْتَصِبًا عَلَى الْأَرْضِ، وَرَأْسُهُ يُدَانِي السَّمَاءَ، وَمَلَائِكَةُ اللَّهِ تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ. وَإِذَا بَنُو اللَّهِ وَاقَفُوا أَمَامَهُ، وَقَالَ: أَنَا اللَّهُ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ، وَإِلَهُ يَسْحَقَ، الْأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ نَائِمٌ عَلَيْهَا، لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ. وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَثْرَابِ الْأَرْضِ، وَتَنُمُو غَرْبًا وَشَرْقًا وَشِمَالًا وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ بِكَ جَمِيعُ عَشَائِرِ الْأَرْضِ وَبِنَسْلِكَ.

وَأَنَا مَعَكَ وَأَحْفُظُكَ أَيْنَمَا سَلَكَتَ، وَأَزِدُّكَ إِلَى هَذَا الْبَلَدِ، لَا أَتْرُكَكَ إِلَى أَنْ أَفِي لَكَ بِمَا وَعَدْتُكَ. وَاسْتَيْقِظْ يَعْقُوفُ مِنْ نَوْمِهِ وَقَالَ: إِذَا نَوَّرَ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ. فَخَافَ وَقَالَ: مَا أَخَوْفَ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَمَا هَذَا إِلَّا بَيْتُ اللَّهِ، وَهُوَ ذَا بَابِ السَّمَاءِ". (تَبَعًا لِتَفْسِيرِ الْحَاخَامِ سَعَادِيَا جَاوُونَ)

لَعَلَّنَا نُلَاحِظُ أَنَّ كَلِمَةَ "هُوَ ذَا" قَدْ تَكَرَّرَتْ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَتُقَابَلُهَا كَلِمَةُ "فَهْنِي" بِاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ الَّتِي تَمَثَّلُ لَفْظًا يُسْتَعْمَلُ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْمَفْجَأَةِ. فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَكُنْ يَعْقُوفُ جَاهِزًا لِمِثْلِ هَذَا اللَّقَاءِ، وَهَذَا مَا أَكَّدَ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ حِينَ قَالَ: "نَوَّرَ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ". كَمَا أَنَّ الْفِعْلَ الْمُسْتَعْمَدَ فِي بَدَايَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ كَمَا جَاءَ فِي اللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ "فَايْفَغَا بَمَقُوم" وَالَّذِي يَحْتَمِلُ مَعْنَى آخَرَ، وَهُوَ مَعْنَى اللَّقَاءِ غَيْرِ الْمَتَوَقَّعِ، وَلاَحِقًا أَصْبَحَتْ كَلِمَةُ "هَمَقُوم" (بِمَعْنَى الْمَكَانِ أَوِ الْمَقَامِ) تَعْنِي اللَّهُ فِي اللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ الْحَاخَامِيَّةِ. لَكِنْ عِبْرَةٌ "فَايْفَغَا بَمَقُوم" قَدْ تَفَهَّمُ مِنْ مُنْظُورٍ شِعْرِي بِمَعْنَى أَنَّ "يَعْقُوفُ كَانَ فِي لِقَاءٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعٍ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ". وَلَوْ أَضْفَيْنَا صِرَاعَ يَعْقُوفِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي اللَّيْلِ وَالْمَذْكُورِ فِي النَّصِّ الْأَسْبُوعِيِّ التَّالِيِ، فَإِنَّ الْإِجَابَةَ عَلَى السُّؤَالِ سَتَكُونُ كَامِلَةً مُتَكَامِلَةً: فَيَعْقُوفُ هُوَ الشَّخْصِيَّةُ الَّتِي مَرَّتْ بِأَعْمَقِ تَجْرِبَةٍ رُوحِيَّةٍ بِمُفْرَدِهِ لَيْلًا فِي مُوَاجَهَةِ الْمَخَاطِرِ وَقِسْوَةِ الْبَعْدِ عَنِ الْوَطَنِ وَالْأَهْلِ. لَقَدْ كَانَ الشَّخْصُ الَّذِي التَّقَى بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَتَوَقَّعْ أَبَدًا مِثْلَ هَذَا اللَّقَاءِ، خَاصَّةً وَأَنْ تَفَكِيرِهِ كَانَ مُنْشَغَلًا بِالْعَدِيدِ مِنَ الْأُمُورِ فِي ظِلِّ الذُّعْرِ وَالْخَوْفِ الَّذِي كَانَ يَشْعُرُ بِهِ، بَلْ كَانَ عَلَى حَاقَةِ الْيَأْسِ وَالْإِحْبَاطِ إِنْ صَحَّ التَّعْبِيرُ. لَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ الَّذِي أَدْرَكَ فِي خِضْمِ تِلْكَ الرَّحْلَةِ بِأَنَّ "نَوَّرَ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ!"

بِالتَّالِيِ أَصْبَحَ يَعْقُوفُ أَبًا وَوَالِدًا لِلشَّعْبِ الَّذِي حَظِيَ بِأَقْرَبِ لِقَاءٍ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هَذَا الشَّعْبُ الَّذِي وَصَفَهُ مُوشِيَهُ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ "كَفَّاهُ فِي أَرْضِ الْبَرِيَّةِ" تَبَعًا لِمَا تَذَكَّرَهُ الْآيَةُ الْعَاشِرَةُ مِنَ الْمَقْطَعِ الثَّانِيِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ سَفَرِ التَّنْتِيَةِ.

لَقَدْ ظَلَّ الْوُجُودُ الْيَهُودِيَّ قَائِمًا عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا مَرَّ بِهِ مِنَ النِّفْيِ وَالشُّتَاتِ الْمُتَكَرِّرِ، وَهَذَا بِحَدِّ ذَاتِهِ أَمْرٌ اسْتِثْنَائِيٌّ مُنْقَطِعٌ النَّظِيرُ، لَكِنَّهُمْ فِي خِضْمِ ذَلِكَ الشُّتَاتِ كَانُوا يَتَسَاءَلُونَ دَوْمًا: "كَيْفَ نُرْتَمُّ تَزْنِيمَةَ اللَّهِ فِي أَرْضِ غَرِيْبَةٍ؟" تَبَعًا لِمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي الْآيَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْمَقْطَعِ مِئَةً وَسَبْعَةً وَثَلَاثُونَ مِنْ سَفَرِ الْمَزَامِيرِ. لَكِنَّهُمْ سُرْعَانِ مَا أَدْرَكُوا بِأَنَّ "الشَّخِيْنَاهُ" (أَيِ الْحَضُورَ الْإِلَهِيَّ وَسَكِينَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) كَانَتْ تُحِيْطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ فَقْدَانِهِمْ لِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَفْقَدُوا الصَّلَاةَ الرَّوْحَانِيَّةَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. لَقَدْ أَدْرَكُوا بِأَنَّ "نَوَّرَ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ".

لَقَدْ مَنَحَ أَفْرَاهَامَ الْيَهُودَ الْجُرْأَةَ لِلْوُقُوفِ فِي وَجْهِ أَصْنَامِ وَطَوَاعِيْبِ كُلِّ زَمَانٍ وَعَصْرِ، كَمَا مَنَحَهُمْ يَتَسَحَّقَ الْقُدْرَةَ عَلَى التَّضْحِيَةِ بِالنَّفْسِ، وَالحَالِ نَفْسَهُ بِالنَّسْبَةِ لِنَبِيِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُوشِيَهُ الَّذِي عَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُقَاتِلُونَ بِحِمَاسَةٍ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ الْعَدَالَةِ. لَكِنْ يَعْقُوفُ عَلَّمَ الْيَهُودَ أَمْرًا مُخْتَلَفًا تَمَامًا: لَقَدْ عَلَّمَهُمْ مَاذَا يَفْعَلُونَ فِي أَوْقَاتِ الْوَحْدَةِ، عَلَّمَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ لَا زَالَ مَعَهُمْ مَانِحًا إِيَّاهُمْ الْجُرْأَةَ وَالْأَمَلَ وَالْقُوَّةَ لِيَحْلُمُوا بِغَدِّ مُشْرِقٍ، وَهَذَا مَا عَبَّرَ عَنْهُ الْمَلِكُ دِيْفِيدُ/دَاوُودُ بِمُنْتَهَى الْجَمَالِ وَالْبَلَاغَةِ فِي سَفَرِ الْمَزَامِيرِ حِينَ كَانَ يَبْتَهَلُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَرَارًا وَتَكَرَّرًا مُتَضَرِّعًا إِلَيْهِ مِنْ عُمُقِ الظُّلَامِ الْحَالِكِ، فِي وَقْتٍ كَانَ فِيهِ وَحِيدًا يَأْتَسَا مُتَأَلِّمًا تَتَمَلَّكُهُ مَشَاعِرُ الذُّعْرِ وَالْخَوْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَيْثُ قَالَ تَبَعًا لِلآيَتَيْنِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ مِنَ الْمَقْطَعِ التَّاسِعِ وَالسَّتِينَ مِنْ سَفَرِ الْمَزَامِيرِ:

"خَلَّصْنِي يَا اللَّهُ لِأَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ دَخَلَتْ إِلَى نَفْسِي. عَرَفْتُ فِي حَمَاءٍ عَمِيقَةٍ،
وَلَيْسَ مَقَرٌّ. دَخَلْتُ إِلَى أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ، وَالسَّيْلُ عَمَرَ فِي.
تَعَبْتُ مِنْ صُرَاخِي، يَبْسَ حَلْقِي، كَلَّتْ عَيْنَايَ مِنْ انْتِظَارِ إِلَهِي".

وَالأَمْرُ نَفْسَهُ تَذَكَّرَهُ الْآيَةُ الْأُولَى مِنَ الْمَقْطَعِ مِئَةً وَثَلَاثُونَ مِنْ سَفَرِ الْمَزَامِيرِ:

"مِنَ الْأَعْمَاقِ صَرَّخْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ".

أحياناً نمرّ بأعمق التجارب الروحية خلال أوقات لا نتوقعها أبداً، في أوقات نكون فيها قريبين جداً من اليأس والإحباط، وفي مثل هذه اللحظات تسقط الأقنعة التي نرتديها، ونكون في قمة ضعفنا ووهننا، وهذه اللحظات التي نكون فيها في قمة الانفتاح تجاه الله عز وجل، وهي اللحظات نفسها التي يكون الله عز وجل مُنفتحاً تجاهنا، مصداقاً لما جاء في الآية الثامنة عشرة من المقطع الرابع والثلاثين من سفر المزامير والتي تقول: "قَرِيبٌ هُوَ اللهُ مِنْ مُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيَخْلِصُ مُنْكَسِرِي الرُّوحِ"، وفي الآية السابعة عشرة من المقطع الواحد والخمسين: " ذَبَّاحُ اللهُ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْكَسِرُ يَا اللهُ لَا تَحْتَقِرُهُ". وفي الآية الثالثة من المقطع مئة وسبعة وأربعين: "سَبِّحُوا اللهَ، لَأَنَّ التَّرَنَّمَ لِإِلَهِنَا صَالِحٌ. لِأَنَّهُ مُلِدٌ، التَّسْبِيحُ لِأَيْقٌ".

وفي السياق نفسه كان الحاخام نَحمان من بريسلوف يقول دوماً:

"يجبُ على المرء أن يبكي لأبينا في السماوات مُتضرعاً بصوتٍ قوِي نابع من أعماق قلبه، عندها سُبِنصتُ اللهُ لِصوتهِ ويستجيبُ لتضرعاته. وقد يكونُ هذا التضرعُ بحدِّ ذاته سبباً لإزالة الشكوك وإزاحة العقبات التي تحوّل بين المرءِ وعبادتهِ لله عز وجل (هشيم)"¹.

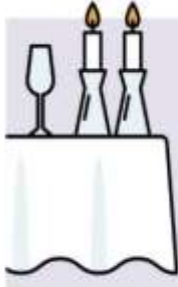
في الحقيقة، فإننا لا نجدُ الله في دور العبادة والأماكن المقدّسة فحسب، بل نجدُهُ أيضاً في خِصَمِ رحلة نخوضُ غمارها في ليلةٍ من الليالي بمفردنا، مصداقاً لما تذكره الآية الرابعة من المقطع الثالث والعشرين من سفر المزامير: "أَيْضاً إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لِأَخَافِ شَرًّا، لِأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي". لهذا فإن أحدَ أبرز التجارب الروحية التي نمرّ بها بل وأكثرها عمقاً تتمثلُ في شعورنا بأننا لَسنا وَحَدنا، وبأن الله عز وجل يُمِسِكُ بيدنا ويُظَلِّلنا بِجمائته، ينتشلنا حين نسقطُ ويعفو عتاً حين نَفشلُ، وأن عُنفوانَ محبته لنا كفيلاً بمداواة جراح أرواحنا.

لم يكن والدي - رحمه الله وطيب ذكره - رجلاً مُتعلماً، حيث لم يحظَ بفرصة التعليم عندما لجأ إلى بريطانيا وهو طفل صغير، فاضطرَّ لتُركِ المدرسة منذُ نعومة أظافره، بالإضافة إلى أن فرصة الحصول على تعليم ديني يهودي كانت محدودة جداً بالنسبة له، وكان الكفاح من أجل البقاء هو الهمّ الأوّل لعائلي آنذاك. لكنني كنتُ أراه دوماً رافعاً رأسه مُفتخراً بيهوديته دون خوفٍ أو وِجَل، والسبب وراء ذلك الشعور يكمنُ في قراءته لسفر المزامير أثناء الصلاة، تلك الآيات التي كانت تمنحه الثقة العميقة بوجودِ الله إلى جانبه.

لقد منحه إيمانه - رغم بساطته - شعوراً عميقاً بالكرامة والقوة والإرادة، وهذا ما ورثه أبي عن يعقوف، وهذا ما ورثناه نحنُ اليهودُ عنه أيضاً، وحتى عندما نهوي فإننا نشعرُ بأن أيدي الله عز وجل تتلقفنا لتحمينا من السقوط. وحتى حين يفقدُ البعضُ إيمانه بنا، وحينَ نفقدُ إيماننا وثقتنا بأنفسنا، فإن الله عز وجل لن يفقدَ ثقته بنا أبداً. وحتى حين يتملّكنا شعورٌ عميقٌ بالوحدة، فإننا فعلياً لَسنا بمفردنا أبداً، فالله عز وجل موجودٌ بجانبنا وفي أعماقنا، يحثنا على النهوض والمضي قُدماً لنُنجزَ ما هو مطلوبٌ منا إنجازاً، ونُحقِّق ما هو مطلوبٌ منا تحقيقاً، تلك الغايات التي خُلِقنا كبشرٍ من أجل تحقيقها. وفي هذا الصدد أستذكرُ ما قاله مُغنيّ الجيل حينما كُنْتُ شاباً ليونارد كوهين² الذي قال في قصيدة anthem (أي النشيد الوطني): "يوجدُ صدعٌ في كل شيء، ومن خلال هذا الصدعِ يتسللُ النور". إن القلبَ المُنْكَسِرَ يُفْسِحُ المجالَ لنورِ الله حتى يدخُلَ إليه، ليُصبحَ بعدها بوابةً نحو السماء.

1. المصدر: 2:46 Likkutei Maharar, Rabbi Nahman of Bratslav.

2. ليونارد كوهين في عمله "النشيد الوطني".



حَوْلَ مَائِدَةِ يَوْمِ السَّبْتِ الْمُقَدَّسِ: أَسْئَلَةٌ لِلتَّأْمُلِ

- 1- هل سبق لك وأن استشعرت حضور الله عز وجل خلال أكثر لحظات حياتك ضعفاً؟
- 2- لماذا تعتقد بأنه من الهام وجود عدد من الآباء والأجداد الذين نعتبرهم قدوة لنا؟
- 3- لماذا باعتقادك أصبحنا معروفين بـ"بني إسرائيل"، أي أبناء يعقوف/يعقوب تحديداً دوناً عن باقي آبائنا وأجدادنا؟

• These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at <https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/vayetse/how-the-light-gets-in/>

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

